

خطبة بعنوان:

معنى: (شهادة أن محمدا رسول)

"الله صلى الله عليه وسلم"

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}{آل عمران:102}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}{النساء:1}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

قَوْزًا عَظِيمًا {الأحزاب: 70-71}

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها الأخوة المسلمون:

معلوم لدى كل مسلم أن الركن الأول من أركان الإسلام هو الشهادتان، وقد تحدثنا في خطبة سابقة عن الشطر الأول منه وهو (لا إله إلا الله) و نتحدث معكم اليوم عن الشطر الثاني وهو: شهادة أن محمدا رسول الله، إذ أن الشهادتين متلازمتان و لا تقبل إحداهما بدون الأخرى، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ»

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله هو أن يشهد العبد بلسانه ويعتقد بقلبه ويعمل بمقتضى ذلك بجوارحه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي صلى الله عليه وسلم رسول الله أرسله الله إلى العالمين، إلى الجن والإنس، ويشهد بأنه قد بلغ ما أرسله الله به أتم البلاغ، وجاهد في سبيل الله

لنشر الرسالة أتم الجهاد، وأنه يجب طاعته، وتحرم معصيته أو لإحداث في منهجه وأنه لا يجوز التعبد بغير ما شرع ولا يقبل عمل من أحد يخالف هديه، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده، وفضله الله على سائر خلقه، وجعله رحمة للعالمين، وأن من كذبه أورد قوله، فإنه كافر لا يقبل الله منه صرفا ولا عد لا وأن الله أكمل به الدين، فلا يجوز الاستدراك عليه أو التعقيب أو التبديل أو الزيادة أو النقصان في منهجه وسنته، هذا هو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله -: ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع. اهـ. وعرفها بعض أهل العلم بأنه لا متبوع بحق إلا رسول الله وغيره إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل. اهـ.

فإن الله قد أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته فقال سبحانه: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر: 7] (ما): اسم موصول يعم كل شيء بمعنى أنه يجب امتثال كل أوامره واجتناب كل نواهيه . وقد جعل سبحانه طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله قال تعالى: { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } [النساء: 80] أي: كما قال في آية أخرى: { إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا - الْبَلَاءَ - عَ } .

ولا فرق بين القرآن والسنة فالقرآن يحثنا على التمسك بالسنة
والسنة تحثنا على التمسك بالقرآن، وكلٌ وحي من عند الله، قال
تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النساء: 113]

قال ابن كثير في تفسيره: الكتاب هو القرآن والحكمة هي
السنة. اهـ.

فكل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفك عن
القرآن الكريم بل كل أوامره صلى الله عليه وسلم داخلة تحت
أوامر القرآن الكريم لقوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: 7] وروى البخاري ومسلم عن
ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود
رضي الله عنه وقالت بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة
أشياء وجدت في كتاب الله أو عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما
وجدت فيه الذي تقول، قال وما وجدت فيه { وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: 7] قالت: بلى ق
ال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن
الواشمة والواصلة والنامصة.

الشاهد من الحديث أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهييه في حكم أمر القرآن ونهييه لقوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: 7]

قال العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. اهـ..

ومن مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله متابعتة في أقواله وأفعاله والافتداء والتأسي به في كل أموره لأنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [1] لأحزاب: 21]

قال ابن كثير في تفسيره: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله. اهـ.

وقال السعدي في تفسير قوله تعالى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80]: أي: كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه {فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا، ويمدح على ذلك. اهـ.

فمن كان كذلك فهو صادق في شهادته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة لأن الشهادة لا يكفي مجرد التلفظ

بها فقط ،بل العمل بمقتضى هذه الشهادة علامة على صدق العبد ومحبته لنبيه ولربه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي أرسله وقد اختبر الله عباده بمتابعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}{آل عمران:31}

قال العلامة ابن كثير في تفسيره: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي تَقْصِ الْأَمْرِ، حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالَّذِينَ النَّبَوِيُّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ" ولهذا قال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}.. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: رَعِمَ قَوْمٌ أَتَاهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَبْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}

اهـ-

وقد كتب الله رحمته لمن اتبع رسوله واقتفى أثره فقال سبحانه و تعالى: {وَكَتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَوْلَىٰ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي

يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ { [الأعراف: 156-157]

قال المفسر البغوي: قال ابن عباس: إن اليهود والنصارى، تمنوا
رحمة الله وقالوا: نحن نتقي ونؤمن ونؤتي الزكاة ونؤمن،
فَجَعَلَهَا اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَالَ: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الْأُمِّيَّ" الْآيَةَ. اهـ.

وقال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر
وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. اهـ.

فيجب على كل من يشهد أن محمدا رسول الله أن يعمل بسنته
ويجتنب البدع والمحدثات، لما روى الترمذي عن العرباض بن
سارية، رضي الله عنه، قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا
الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُؤَرَّعَةٌ
فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ
وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مِنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى
اخْتِلَاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ
فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ

فَإِنْ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ
«وعند النسائي: "وكل ضلالة في النار"

فقوله: "عليكم بسنتي": أي الزموا سنتي، وقال: "عضوا عليها بالنواجذ" أي: تمسكوا بها بالأضراس، كناية عن شدة التمسك بها، خصوصا إن وجد المنازع والمحذر والمثبط، وهم أكثر - لا أكثرهم الله - وخصوصا في زمن الفتن والبدع، فليتمسك العبد بالسنة تمسك الغريق بالحبل بيديه وأضراسه.

وسنته صلى الله عليه وسلم: هي طريقته في أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته.

قال العلامة العثيمين: وسنته هي طريقته التي يمشي عليها عقيدة وخلقا وعملا وعبادة وغير ذلك، نلزم سنته ونجعل التحاكم إليها كما قال تعالى: {وَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]، اهـ.

فكل الطرق إلى الله مسدودة إلا طريق واحد وهو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال العلامة ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: {وَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}: يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ

الذي يَجِبُ الْإِثْقَادُ لَهُ بِاطْنًا وَظَاهِرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: {ثُمَّ لَّا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} أَي: إِذَا حَكَمُواكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَّا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كَلِيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانِعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازَعَةٍ. اهـ.

ومن مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيمه تعظيما شرعيا كما أراد الله، فلا يرفع فوق منزلته ولا يخفض عنها، ومحبته حبا شرعيا بلا غلو ولا إفراط، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أُتْسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يُوْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» فهو عبد الله ورسوله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي: هو عبد فلا يعبد ورسول فلا يكذب . اهـ.

فلا يُعبد كما عبده أرباب التصوف فدعوه من دون الله وتوسلوا به واعتقدوا فيه بعض صفات الربوبية بأنه يتصرف في الكون وينفع ويضر من دون الله ولا يكذب كما كذبه اليهود والنصارى.

ومن تعظيمه تعظيم ما جاء به وتعظيم حديثه والعمل بسنته وعدم رفع الصوت عنده كما قال تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ

الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور:63]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ

تَحْبِطُ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:2]

ألا وإن من رفع الصوت فوق صوت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته مخالفة سنته وتقديم الأقوال على قوله وسلوك مناهج وطرق تخالف منهجه وطريقته .

وقال تعالى: { فَأَلْذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَتَصَرَّوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ} [الأعراف:157] ومعنى (وعزروه) أي عظموه تعظيما شرعيا إذ أنه لا يجوز رفعه فوق منزلته والغلو فيه, فإنه بشر كسائر الناس إلا أن الله أكرمه بـ الرسالة, فلا يعلم الغيب ولا ينفع ولا يضر قال تعالى: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} [الأنعام:50]

وقال تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ثَقَعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف:188]

وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الجن:21-22] هذا في حياته لا ينفع نفسه فض لا عن غيره ولا يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله فكيف من بعد موته؟ فإنه لا ينفع ولا يضر ولا يعلم الغيب.

قال العلامة العثيمين: ومقتضى هذه الشهادة الا تعتقد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقا في الربوبية وتصريف الكون أو حقا في العبادة بل هو صلى الله عليه وسلم عبد لا يعبد ورسول لا يكذب ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله . اهـ.

فيجب الحذر من مخالفته فإن مخالفته تخل بالشهادة وتعرض صاحبها للعقوبة العاجلة والآجلة كما قال تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِقُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: 63]

قال الإمام أحمد رحمه الله: أتدري ما الفتنة؟ هي الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. اهـ.

قال العلامة ابن كثير في تفسير قوله تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِقُونَ عَنْ أَمْرِهِ } أي: عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سبيله وَمِنْهَا جُهِ وَطَرِيقَتُهُ وَسُنَّتُهُ وَشَرِيعَتُهُ، فَتُورَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قَبْلَ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ وَقَاعِلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ. اهـ.

وإن مما يخل بهذه الشهادة، إحداث البدع في الدين، وترك السنن، فمن أحدث بدعة أو عمل عملا يخالف السنة فهو مردود على صاحبه لا يقبله الله كائنا من كان، وصاحبه مبتدع إن لم يتب من ذلك.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها،

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرٍ هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرٌ فَهُوَ رَدٌّ» أي: مردود على صاحبه لأنه محدث فعله صاحبه بهواه، والغالب على هذا الصنف أنه لا يوفق للتوبة إلا أن يشاء الله، روى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"

والله ورسوله قد حذرا من هذا الصنف، فإنه أضر على الدين من صاحب المعصية.

قال سفيان بن عيينه رحمه الله: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية" اهـ.

وقد عرف أهل العلم البدعة بأنها: ما أحدث بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بنية التعبد بغير دليل، وهذا لا يقبله الله إذ لم يأذن به قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21]

فمن عبد الله بغير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شرع في دين الله ما لم يأذن به الله، ومن أخذ دينه من غير رسول الله، فقد اتخذ شريكا مع الله والعياذ بالله.

اللهم ثبتنا على سنة نبيك وارزقنا طاعته وجنبنا البدع والمحدثات .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه أزواجه وإخوانه .

أما بعد:

فإن مما يخل بشهادة أن محمدا رسول الله، لهو التحذير من السنة وأهل السنة والاستهزاء ببعض السنن التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم أو التحذير منها، كالعمامة والقميص القصير واللحية والسواك ونحو ذلك، فمن فعل ذلك فإنه يخشى عليه من الكفر والعياذ بالله لقوله تعالى: " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ " الآية [التوبة : 65
، [66

وسبب نزول هذه الآية كما ذكره ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب أسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبت، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقا بحَقَب ناقة رسول الله صلى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَكَّبُهُ الْحَجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {أَبِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} .

فهذا هو معنى أشهد أن محمدا رسول الله فيجب على الناس كلهم أن يقولوها ويتعلموها معناها ويعملوا بمقتضاها قال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاثِرُونَ} [الكافرين: 130]

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ عليه وسلم أنه قال: «وَالَّذِي تَقَسُّ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

ومما يجدر التنبيه عليه أن السنة محفوظة بحفظ الله لها كما حفظ القرآن الكريم إلى قيام الساعة قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9] والذكر: هو الكتاب والسنة فهما وحيان نزلا من السماء.

ومن الأدلة على أن السنة وحي من السماء قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: 3-4] فـ السنة وحي يوحى، لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينطق عن

هواه ولا من ذات نفسه , فإنه لا ينطق في أمور الدين إلا بوحي
كما ذكر الله في الآية الآتفة الذكر.

قال المفسر السعدي رحمه الله: أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه
من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه
وسلم، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وأنه
معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا
يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى. اهـ.

وقال المفسر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: "
وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" أي: القرآن والسنة. اهـ.

فإذا تقرر أن السنة وحي من السماء فهي إذن من الذكر الذي
تكفل الله بحفظه فلا تنفق الشبهات على أحد بأن السنة قد
حرفت أو بدلت أو صارت أحاديث ضعيفة فهذه مشاقة للقرآن
وتكذيب للواقع فإنه لا غنى عن السنة لأنها تبين لنا ما أجمل في
القرآن وتخصص ما عمم في القرآن وتقييد ما أطلق في القرآن
وتوضح ما أشكل في القرآن كعدد الصلوات والركعات ومقادير
الزكوات والنفقات وغير ذلك.

قال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: 64]

وقال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}{[النحل:44]

قال ابن كثير رحمه الله: وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ" يَعْنِي: السُّنَّةُ. وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزَلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، كَمَا يَنْزَلُ الْقُرْآنُ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَدْلَةٍ كَثِيرَةٍ. اهـ.

واعلموا أن الله قد قيض للسنة رجالا وأعلاما ربانيين يهذبونها ويبينون صحيحها من ضعيفها فيدلون الناس على الصحيح منها ويحذرونهم من الضعيف، وهذا من حفظ الله للسنة إذ لم يستطع الملاحدة وأعداء السنة أن يدخلوا في السنة ما ليس فيها، وإذا أرادوا ذلك فإنهم يفضحون وتفضح أقاويلهم ويرد عليهم جهابذة الإسلام وعلماءؤه الأعلام ولله الحمد والمنة.

فلا تصغوا لهذه الشبه الباطلة العارية عن الدليل والبرهان، ولا تخالفوا سنة سيد المرسلين ولا تبدعوا في الدين، فإن الله قد أكمل دينه، وأتم نعمته على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3]

فالكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان للتشريع، فمن تمسك بهما فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومن خالف السنة أو ابتدع في الدين فقد شاق الله ورسوله وعرض نفسه للعقوبة، قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ثَوْلَهُ مَا تَوَلَّى وَثُصِّلِهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا}{[النساء:115]

قال ابن كثير رحمه الله: أي: وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ
الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَارَ فِي شِقِّ
وَالشَّرْعِ فِي شِقِّ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ مِنْهُ بَعْدَ مَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَتَبَيَّنَ
لَهُ وَاتَّضَحَ لَهُ. وَقَوْلُهُ: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} هَذَا مُلَازِمٌ
لِلصِّقَةِ الْأُولَى، وَلَكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ لِنَصِّ الشَّارِعِ، وَقَدْ تَكُونُ
لِمَا أُجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فِيمَا عِلْمُ اتِّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ تَحْقِيقًا،
فَإِنَّهُ قَدْ ضُمِنَتْ لَهُمُ الْعَصْمَةُ فِي اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الْخَطَا، تَشْرِيقًا
لَهُمْ وَتَعْظِيمًا لِنَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. "اهـ-

وقال السعدي: أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذه فلا نوفقه
للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن
يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله. ونعذبه في
جهنم عذابا عظيما وساءت مرجعا ومآلا . اهـ- بمعناه

وفي هذه الآية دلالة على وجوب أخذ الكتاب والسنة على فهم
السلف الصالح ووجوب اتباعهم , وفيها الوعيد على مخالفتهم
وذلك من قوله تعالى: " وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ثَوْلَهُ مَا تَوَلَّى
وَثُصِّلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"

كتاب وسنة على فهم سلف الأمة, وذلك لأنهم هم عايشوا نزول
القرآن الكريم وأخذوا السنة من صاحبها وهم أهل اللغة ونزل

القرآن بلغتهم ,وشهدوا الأحداث والوقائع التي نزل بسببها القرآن,وهم أهل القرون المفضلة ,فتعين فهم نصوص الكتاب و السنة على فهمهم والرجوع إلى أقوالهم ,عند الاختلاف وعند المشكلات وغير ذلك .

قال تعالى: " فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
[البقرة : 137]

وعن أَسَ بْنَ مَالِكٍ ، رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : "إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ" رواه الترمذي وابن ماجه.

وروى الترمذي عن العرياض أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : "عليكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" .

وغير ذلك من الأدلة في وجوب اتباع السلف الصالح.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يثبتنا على السنة وأن يتوفانا عليها وأن يزيدنا من فضله العظيم والحمد لله رب العالمين.

✍️ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله